القول المبين

فيما يجب على المكلف علمه ومعنى اليقين

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية
(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

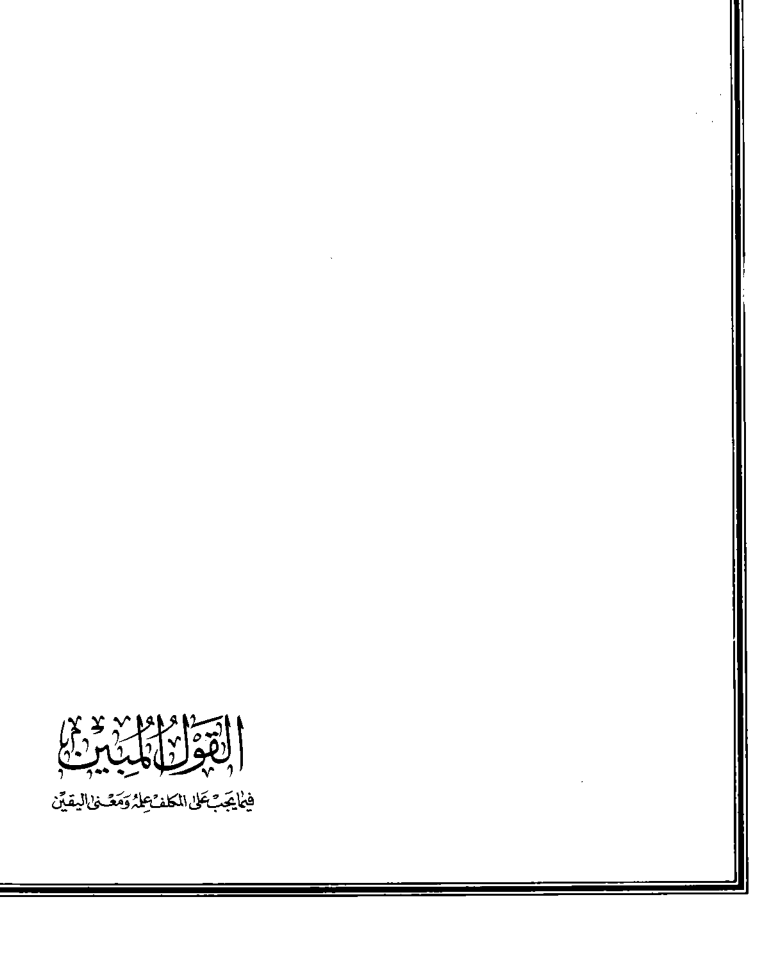
اعتنى به
خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١



القول المبين

فيما يجب على المكلف علمه ومعنى اليقين

بسم اللہ الرحمن الرحیم



مقدّمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّهَ حقَّ تقاتِهِ ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكُم الذي خلقَكم من نفسٍ واحدة وخلَق منها زوجها وبثّ منها رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يُصلِح لكم أعمالَكم ويغفِرْ لكم ذنوبكم ومن يُطع الله ورسوله فقد فازَ فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمد بن عبد الله ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

وهذه رسالة صغيرة أقدّمها وأضعها بين يدي القارىء بحلّة آمل أن تكون قشيبة مرضية، وهي من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، الذي أخذ على عاتقه أمر بيان هذا الدِّين في تلك الحقبة من الزمن الذي ساد فيه الجهل وعمّت العصبية والحزبية للهوى وللشيطان.

وهذه الرسالة من رسائله القيمة التي بيّن فيها الأمور الواجبة على الأمة، وسطر فيها بعض القواعد الهامة.

وقد تكلّم فيه عن أمور متعددة ـ وردت إليه في سؤال ـ، فتكلم عما يجب على المكلّف اعتقاده، وما يجب عليه عِلْمه، وما هو العِلم المرغّب فيه، وما هو اليقين، وكيف يحصل، وما العلم بالله، ثم تكلّم ـ تبعاً لذلك ـ عن الصفة هل هي ذات الموصوف أم هي منفكة عنه.

وكلّ ذلك بأسلوبه العلميّ المتين، الذي لا يخلو

من كثرة الاستشهاد بالنصوص من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح.

ومن المسائل التي تطرّق إليها ـ وكما تقدم ـ: العلم الضروري، فينبغي أن يُعلم:

أن العلم الضروري الذي يجب على المكلّف اعتقاده وعِلْمه يتنوّع بتنوّع قُدَر المكلّفين، ومعرفتهم، وحاجتهم.

وهو ينقسم إلى قسمين:

ما يجب على المكلف أن يؤمن به إيماناً عاماً مجملاً، كالإيمان بالله ورسوله والإقرار بجميع ما جاء به الرسول ﷺ.

وما يجب على المكلّف معرفته على التفصيل، وهو أن يقرّ المكلف بكل ما ثبت عنده من أنّ الرسول ﷺ أخبر به[1].

ومن المسائل المهمة التي تطرق إليها كذلك: **اليقين**.

---

(١) انظر: رسالة في أصول الدِّين لابن تيمية ص٦٤ بتحقيقي، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٧٠. بتحقيق الألباني، وهذه الرسالة ص٢٤.

تعريفه:

واليقين لغة: العِلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر[1]، من يَقِنَ الماء في الحوض؛ إذا استقرّ فيه[2].

وقد عُرّف «اليقين» بعبارات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى.

فقال الراغب الأصفهاني[3]: «هو سكون الفَهْم مع ثبات الحكم».

وقال الجرجاني[4]: «هو في اللغة: العلم الذي لا شكّ فيه».

وقال ابن فارس[5]: «اليَقَن واليقين: زوال الشكّ».

وأما اصطلاحاً:

قال الجرجاني[6]: «وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء

---

(١) لسان العرب ١٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨.
(٢) الكليات للكفوي ص ٩٨٠، والتعريفات للجرجاني ص ٢٥٩، وص٢٧ من هذه الرسالة.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٩٢.
(٤) التعريفات ص ٢٥٩.
(٥) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٥٧.
(٦) التعريفات ص ٢٥٩.

بأنه كذا، مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقاً للواقع، غير ممكن الزوال.

والقيد الأول: جنس يشتمل على الظن أيضاً.

والثاني: يخرج الظن.

والثالث: يخرج الجهل.

والرابع: يخرج اعتقاد المقلّد المصيب».

وقال الكفوي[1]: «هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع.

وقيل: عبارة عن العلم المستقرّ في القلب لثبوته من سبب متعين له بحيث لا يقبل الإنهدام».

أهميته:

ولليقين أهمية كبيرة، إذ هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد[2].

ولذا هو أبلغ عِلْم وأوكده، فلذا لا يكون معه مجال عناد ولا احتمال زوال. ولكن قد يتطرق إليه الجحود، كما قال تعالى: **﴿وجَحَدُوا بها واستَيقَنَتْها**

---

(١) الكليات ص ٩٧٩.

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٣٧٤.

أنفُسُهم ظُلْماً وعُلُوّاً﴾[1]، وهذا بخلاف الطمأنينة، إذ لا يتصوّر عليها الجحود[2].

وإذا اجتمع الصبر مع اليقين؛ حصلت الإمامة في الدِّين، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين: **﴿وجَعَلْنا منهم أئمةً يهدُون بأمرِنا لمّا صَبروا وكانوا بآياتِنا يُوقِنُون﴾**[3][4].

كيف يحصل؟

واليقين يحصل بثلاثة أشياء:

أحدها: تدبّر القرآن.

والثاني: تدبّر الآيات التي يُحدِثُها الله في الأنفس والآفاق، التي تُبيّن أنّه الحقّ.

والثالث: العمل بموجب العِلْم[5].

---

(١) سورة النمل، آية ١٤.

(٢) انظر الكليات للكفوي ص ٩٨٠.

(٣) سورة السجدة، آية ٢٤.

(٤) مدارج السالكين ٢/ ٣٧٤ بتصرف.

(٥) انظر ص٣٠ ـ ٣١ من هذه الرسالة، ومدارج السالكين ٢/ ٣٧٥ فما بعدها.

مراحل وصول اليقين إلى النفس:

قال الكفوي[1]: «واعلم أنّ أول مراتب وصول العلم إلى النفس:

الشعور.

ثم الإدراك.

ثم الحفظ: وهو استحكام المعقول في العقل.

ثم التذكّر: وهو محاولة النفس استرجاع مازال من المعلومات.

ثم الذِّكر: وهو رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن.

ثم الفهم: وهو التعلّق غالباً بلفظ من مخاطِبِك.

ثم الفقه: وهو العلم بغرض المخاطِب من خطابه.

ثم الدِّراية: وهي المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات.

ثم اليقين: وهو أن تعلم الشيء ولا تتخيّل خلافه، . .».

---

(١) في الكليات ص ٦٦ ـ ٦٧.

علاماته:

ولليقين علامات تدلّ على حصوله ووجوده، ومن هذه العلامات:

ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: «من اليقين:

- أن لا ترضي الناس بسخط الله.
- ولا تحمد أحداً على رزق الله.
- ولا تلوم أحداً على ما لم يؤتك الله»[1].

ومن علاماته أيضاً:

- النظر إلى الله في كلّ شيء.
- والرجوع إليه في كلّ أمر.
- والاستعانة به في كلّ حال[2].

مراتبه:

واليقين ثلاث مراتب ودرجات، وهي: علم

---

(١) انظر الفوائد، لابن القيم ص ١٩٢ (ت، أحمد عرموش).

(٢) انظر مدارج السالكين ٢/ ٣٧٥. (ت، محمد المعتصم بالله البغدادي).

اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

أما عِلْم اليقين: فهو ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر.

وعين اليقين: ما شاهده وعاينه بالبصر.

وحقّ اليقين: ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار.

فالأوّل: مثل من أُخبر أنّ هناك عسلاً، وصدّق المخبر، أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده.

والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه، وهذا أعلى.

والثالث: مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أنّ هذا أعلى مما قبله[1].

هل هو كَسْبِيّ، أو مَوْهِبيّ جِبِلّي؟:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «واختُلِف فيه هل هو كسبيّ أو مَوْهبي؟

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢/ ١٥٩ (الرسالة السابعة/ درجات اليقين)، وانظر مدراج السالكين ٢/ ٣٨٧ - ٣٨١، والكليات للكفوي ص ٩٨٠.

فقيل: هو العِلم المستودع في القلوب. يشير إلى أنّه غير كسبّي.

وقال سهل: اليقين من زيادة الإيمان، ولا ريب أنّ الإيمان كسبيّ.

والتحقيق: أنّه كَسْبي باعتبار أسبابه، مَوْهبيّ باعتبار نفسه وذاته»[1].

ثمراته:

ولليقين ثمرات منها[2]:

ـ أنّ أهل اليقين هم أهل الانتفاع بالآيات والبراهين، كما قال تعالى: **﴿وفي الأرضِ آياتٌ للموقنين﴾**[3].

ـ أنّ أهل اليقين هم أهل الهدى والفلاح من بين العالمين. قال تعالى: **﴿والذين يؤمنون بما أُنزلَ إليك وما أُنزلَ من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدًى من ربِّهم وأولئك هم المفلحون﴾**[4].

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٧٥.

(٢) انظر مدارج السالكن ٢/ ٣٧٤.

(٣) سورة الذاريات، آية رقم (٢٠).

(٤) سورة البقرة، الآيتان رقم (٤ ـ ٥).

- أنّ أهل اليقين لا يدخلوا النار، فقد أخبر الله تعالى عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين، كما قال تعالى: **﴿وإذا قيل إنّ وَعْدَ الله حقٌّ، والساعةْ لا ريب فيها، قُلتم ما ندري ما السّاعة إنّ نظنُّ إلاّ ظنّاً وما نحن بمُسْتيْقِنينَ﴾**[1].

هذا ما وفقني الله تعالى لجمعه فيما يتعلق بمسألة اليقين.

ثم تطرّق ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى مسألة الإيمان بالله والعلم به، أي العلم بأسمائه وصفاته. والكلام حول هذا الموضوع استوفاه شيخ الإسلام في كثير من كتبه، كما استوفى الكلام عليه كثير من العلماء غيره مما يغني عن الكلام حوله في هذه المقدمة الصغيرة.

---

(١) سورة الجاثية، آية ٣٢.

ترجمة موجزة للمؤلّف

* ولد شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني، أبو العباس في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١) هـ في حرّان، وتحوّل به أبوه من حرّان إلى دمشق سنة (٦٦٧) هـ عند استيلاء التتار على البلاد، فنشأ فيها.

* عاش في بيئة علمية، حيث كان أبوه وجده من كبار العلماء في تلك الحقبة.

* استطاع شيخ الإسلام رحمه الله أن يلمّ بفنون العلم في عصره في وقت مبكّر، وكان ذا حافظة خارقة، فكان يحفظ كل ما يقع تحت عينيه، وقد حدّثوا في ترجمته بالأعاجيب في ذلك.

* كان مضرب الأمثال في زهده وترفّعه عن شهوات الدنيا، وكان مترفّعاً عن الحقد، لا ينتقم لنفسه. قال فيه ابن مخلوف قاضي المالكية: ما رأينا مثل ابن تيمية؛ حرّضنا عليه. فلم نقدر عليه، وقدِر

علينا فصفح عنّا وحاجج عنا.

* لقد أثنى العلماء والأئمة عليه كثيراً حتى لقبوه بشيخ الإسلام، وأفردوا مناقبه بالتصنيف، ولم ينتقص منه إلا مَن جهل مقداره وخطره، ومَن جهل شيئاً أنكره.

ومما قيل فيه؛ قول الإمام المزّي: ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، ولا رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولا أتبع لهما منه.

وقال عنه ابن سيّد الناس: كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً. إن تكلّم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته، أو حاضر بالملل والنحل لم يُرَ أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من رايته. برز في كل فنّ على أبناء جنسه.

وقال ابن دقيق العيد عنه: رأيت رجلاً جمع العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد.

ولقد أنصف بهاء الدين ابن السبكي حيث يقول: ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحقّ بعد معرفته له.

* لقد خلّف لنا رحمه الله تعالى مكتبة علمية ضخمة، حيث زادت مؤلفاته عن خمسمائة مصنف بين رسالة ومجلد ومصنف كبير في مختلف العلوم والفنون.

* وفاته: أدخل السجن رحمه الله آخر مرّة في شعبان سنة (٧٢٦) هـ، واعتقل بالقلعة، ومكث في السجن إلى أن توفّاه الله تعالى في ٢٦ من ذي القعدة (٧٢٨) هـ.

وكانت جنازته عظيمة جداً، وأقلّ ما قيل في عدد مشيّعيه خمسون ألفاً.

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الدّين خير الجزاء، وأسكنه فسيح جناته.

عملي في هذه الرّسالة

* لقد اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على طبعتها في مجموع الفتاوى، حيث إنها جزء منه، وهي موجودة في المجلد الثالث من صفحة ٣٢٧ إلى صفحة ٣٣٧.

وهي رسالة كسائر رسائل المجموع تحتاج إلى التحقيق العلمي ومراقبة الآيات على المصحف الكريم لاستخراج الأخطاء الواقعة فيها، وتخريج الأحاديث تخريجاً علمياً، ولذا قمت في تحقيقها بالخطوات التالية:

١ ـ خرجت الآيات الكريمة، وراقبتها على المصحف الكريم لتلافي وجود أيّ خطأ فيها، وقد وجدت بعض الأخطاء.

٢ ـ خرجت الأحاديث المذكورة في الرسالة، وبيّنت الصحيح من السقيم منها ما كان إلى ذلك سبيل.

٣ ـ ترجمت للأعلام المذكورين ممّن قد يخفى حالهم على بعض القراء.

٤ ـ عرّفت بالفرق المذكورة في الرسالة مع بيان أهم ما تدعو إليه.

٥ ـ شرحت الألفاظ الغريبة الموجودة في النصّ.

٦ ـ علقت على النصّ بما يوضّح، ويفسّر، ويُفصّل.

هذا وما كان من صواب فمن الله تعالى ومَنّه عليّ، وما كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان.

والله أسأل أن يكتب لهذه الرسالة القبول، وأن يجعلها في ميزان حسناتي يوم ألقاه.

وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي

طرابلس ـ لبنان

نصّ السؤال
الموجّه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية

سُئِل رحمه الله تعالى:

- ما الذي يجب على المكلّف اعتقاده؟
- وما الذي يجب عليه عِلْمه؟
- وما هو العِلْم المرغّب فيه؟
- وما هو اليقين؟
- وكيف يحصل؟
- وما العِلْم بالله؟



جـواب
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

أجاب رحمه الله: الحمد لله ربّ العالمين.

أمّا قوله: ما الذي يجب على المكلّف اعتقاده؟

فهذا فيه إجمال وتفصيل:

أمّا الإجمال:

فإنّه يجِب على المكلّف أنْ يؤمن بالله ورسوله، ويُقرّ بجميع ما جاء به الرّسول: من أمر الإيمان بالله وملائكته وكُتبه ورُسله واليوم الآخر، وما أمر به الرّسول ونهىَ؛ بحيث يُقِرّ بجميع ما أخبر به وما أمر به.

فلا بدّ من تصديقه فيما أخبر؛ والانقياد له فيما أمر.

وأمّا التفصيل:

فعلَى كلّ مكلّفٍ أنْ يُقرّ بما ثبت عنده؛ من أنّ الرسولَ أخبر به وأمره به.

وأمّا ما أخبر به الرّسول ولم يَبْلُغْه أنّه أخبرَ به؛ ولم يُمْكِنه العلم بذلك؛ فهو لا يُعاقَب على ترْك الإقرار به مفصّلاً، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام.

ثمّ إن قال خِلاف ذلك متأوِّلاً كان مخطئاً يُغْفَر له خطأه؛ إذا لم يحصل منه تفريط ولا عُدوان.

ولهذا يجِب على العلماء من الإعتقاد ما لا يَجِب على آحاد العامّة، ويجب على مَنْ نشأ بدار عِلْمٍ وإيمانٍ مِنْ ذلك ما لا يجب على من نشأ بدار جهل.

وأما ما عُلِم ثبوتُه بمجرد القياس العقلي دون الرّسالة؛ فهذا لا يُعاقب إنْ لم يعتقده[1].

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «رسالة في أصول الدين» ص٦٤ بتحقيقنا: «لا ريب أنه يجب على كلّ أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً عامّاً مجملاً.

ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرضٌ على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبّر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب، والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلى سبيل الربّ بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

=

وأمّا قول طائفة من أهل الكلام: إنّ الصّفات الثابتة بالعقْلِ هي التي يَجِب الإقرار بها؛ ويكفر تاركها بخلاف ما ثبت بالسمع؛ فإنّهم تارة ينفونه، وتارة يتأوّلونه، أو يُفَوِّضون معناه، وتارة يثُبتونه، لكن يجعلون الإيمان والكفْر متعلّقاً بالصّفات العقلية، فهذا لا أصل له عن سلف الأمّة وأئمتها، إذِ الإيمان والكفر هما مِنَ الأحكامِ التي ثبتت بالرِّسالة؛ وبالأدلّة الشرعية يميّز بين المؤمنِ والكافر؛ لا بمجرّد الأدلَّة العقلية[1].

وأما قوله: ما الذي يجب عليه علمه؟

فهذا أيضاً يتنوّع، فإنّه يجب على كلّ مكلّف أن يعلم ما أمر الله به، فيعلم ما أمر بالإيمان به، وما أمر

= وأمّا ما يجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوّع قُدَرهم ومعرفتهم وحاجتهم، وما أمر به أعيانهم.

فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم، أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك.

ويجب على من سمع النصوص وفهمها من عِلْم التفصيل ما لا يجب على مَن لم يسمعها.

ويجب على المفتي والمحدِّث والمُجادل ما لا يجب على من ليس كذلك».

وهذا الكلام نقله الإمام ابن أبي العزّ بتمامه في مقدمة شرحه على العقيدة الطحاوية، فانظره ص ٧٠.

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

بعلمه؛ بحيث لو كان له ما تجب فيه الزّكاة لوجب عليه تعلّم عِلْم الزّكاة، ولو كان له ما يحجّ به لوجب عليه تعلّم عِلْم الحج، وكذلك أمثال ذلك!.

ويجب على عموم الأمّة عِلْم جميع ما جاء به الرّسول ﷺ، بحيث لا يَضِيع منَ العلم الذي بَلّغه النبيُّ ﷺ أمّتَه شيء، وهو ما دلّ عليه الكتاب والسنّة، لكنّ القدْر الزائد على ما يحتاج إليه المُعيَّن فرضٌ على الكفاية: إذا قامت به طائفة سقَط عنِ الباقين.

وأمّا العِلْمُ المُرَغَّب فيه جملة:

فهو العِلْم الذي علَّمه النبيُّ ﷺ أمّتَه، لكن يرغب كلّ شخص في العِلْم الذي هو إليه أَحْوَج؛ وهو له أنفع، وهذا يتنوّع؛ فرغبة عموم الناس في معرفة الواجبات والمستحبات من الأعمال والوَعْد والوعيد أنفع لهم. وكلّ شخص منهم يرغب في كلّ ما يحتاج إليه من ذلك، ومَنْ وقعت في قلبه شبهةٌ فقد تكون رغبته في عَمَلٍ يُنافيها أنفع من غير ذلك.

وأمّا «اليقين»[1]:

فهو طمأنينة القَلْب؛ واستقرار العِلْم فيه[2]، وهو

---

(١) انظر المباحث المتعلقة باليقين في المقدمة.

(٢) انظر لسان العرب ١٣/٤٥٧ ـ ٤٥٨، والكليات ص ٩٧٩، =

[معنى] ما يقولون: «ماء يَقِنٌ» إذا استقرّ عن الحَرَكة[1].
وضدّ اليقين الرَّيْب[2]، وهو نوع من الحركة والإضطراب، يقال: رَابني يَرِيبُني، ومنه في الحديث: أنّ النبيّ ﷺ مرّ بِظَبْيٍ حاقِف[3]، فقال: «لا يَرِيبه أحد»[4].

ثم اليقين ينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب.

فإنّ العبد قد يعلم علماً جازماً بأمر؛ ومع هذا فيكون في قلبه حرَكة واختلاج[5] من العَمَل الذي

= ومفردات ألفاظ القرآن ص ٨٩٢، والتعريفات للجرجاني ص ٢٥٩.

(١) انظر الكليات ص ٩٨٠، والتعريفات ص ٢٥٩.

(٢) الرّيب، أي الشك. وانظر: لسان العرب ١٣/ ٤٥٨، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ١٥٧.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/ ٤١٣: «حاقِف: أي نائم قد انحنى في نومه».

(٤) رواه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب (٧٨) ما يجوز للمحرم أكله من الصيد ٥/ ١٨٣.
ومالك في الموطأ، في كتاب الحج، باب (٢٤) ما يجوز للمحرم أكله من الصيد، حديث رقم (٧٩) ١/ ٣٥١.
وأحمد في المسند ٣/ ٤١٨، ٤٥٢.
وهو حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات.

(٥) أي: نزاع واجتذاب، وأصل الخَلْج: الجذب والنزع، انظر النهاية ٢/ ٥٩.

يقتضيه ذلك العِلْم، كعِلْم العبد أنّ الله ربُّ كلّ شيءٍ ومليكه؛ ولا خالق غيره؛ وأنّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكّل عليه.

وقد لا يصحبه العمَل بذلك:

إمّا لغفلة القلْب عن هذا العِلْم، والغفْلة هي ضدّ العلم التامّ وإنْ لم يكن ضدّاً لأصل العِلْم.

وإمّا للخواطر التي تَسْنَح[1] في القلب الإلفتات إلى الأسباب.

وإمّا لغير ذلك.

وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «سلُوا الله اليقينَ والعافية، فما أُعْطِيَ أحد بعد اليقين شيئاً خيراً من العافية، فسلوهما الله»[2].

---

(١) أي: تَعْرِض وتعترض. انظر النهاية ٢/ ٤٠٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٨ بلفظ: يا أيها الناس إن الناس لم يعطوا في الدنيا خيراً من اليقين والمعافاة، فسلوهما الله عزّ وجلّ. رواه من طريق الحسن البصري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والحسن لم يلق أبا بكر، فالإسناد منقطع. =

فأهل اليَقين إذا ابْتُلوا ثَبتوا. بخلاف غيرهم؛ فإنّ الإبتلاء قد يُذهب إيمانَه أو ينقصه.

قال تعالى: ﴿وجعلْنا منهم أمئةً يهدُونَ بأمرِنا لمّا صَبَرُوا وكانوا بآياتِنا يُوقِنُونَ﴾[1].

ألا ترَى إلى قوله تعالى: ﴿الّذينَ قالَ لهم الناسُ: إنّ النّاسَ قد جمعُوا لكم فاخشَوْهُم! فزادَهُم إيماناً، وقالوا: حسبُنا اللّهُ ونِعْمَ الوكِيل﴾[2]. فهذه حال هؤلاء.

وقال تعالى: ﴿يا أيّهَا الذينَ آمنوا اذكُروا نِعْمَةَ اللّهِ

= لكن ورد الحديث بلفظ: اسألوا الله العفو والمعافاة، فإن أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية. من طرق عن أبي بكر يصح الحديث بها، رواه:

الترمذي في كتاب الدعوات، باب (١٠٥)، حديث رقم (٣٥٥٨) ٥/ ٥٢١.

وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب (٥) الدعاء بالعفو والعافية، حديث رقم (٣٨٤٩) ٢/ ١٢٦٥.

وأحمد في المسند ١/ ٣، ٥، ٧، ٨.

والحديث صحيح باللفظ المذكور كما تقدم، وانظر صحيح الجامع الصغير (٣٦٣٢) ١/ ٦٧٩، وتخريج المشكاة (٢٤٨٩).

(١) سورة السجدة، آية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٧٣،

عليكم! إذْ جاءَتْكم جنودٌ فأرسلْنا عليهم رِيحاً وَجُنوداً لم تَرَوْها وكانَ اللَّهُ بما تعمَلُونَ بَصِيراً﴾[1]. إلى قوله ﴿هنالِكَ ابتُلِيَ المؤمنونَ وزُلْزِلُوا زِلزالاً شديداً * وإذ يقولُ المنافقونَ والّذِين في قلوبهم مرضٌ: ما وَعَدَنا اللَّهُ ورسولُه إلاّ غُروراً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وما جَعَلْنا أصحابَ النّارِ إلاّ ملائكةً وما جعلْنا عِدَّتَهُمْ إلاّ فتنةً للّذينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيقِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكتابَ﴾[3] الآية[4].

وأمّا كيف يحصل اليقين: فبثلاثة أشياء[5]:

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ١١ ـ ١٢.

(٣) سورة المدّثر، آية ٣١.

(٤) في المطبوعة: الآيتين، وما أثبتناه هو الصواب، وتمام الآية: ﴿... ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون: ماذا أرادَ اللَّهُ بهذا مثلاً، كذلك يُضلّ اللَّهُ من يشاءُ ويهدي من يشاءُ، وما يعلمُ جنودَ ربّك إلا هو، وما هي إلاّ ذكرَى للبَشَر﴾.
والآية التي بعد هذه هي قوله تعالى: ﴿كلاّ والقمر﴾. وهذا ما يؤكّد أن ما أثبتناه هو الصواب.

(٥) انظر في اليقين، وكيف يحصل، مدارج السالكين ٢/٤٢٨ (ط دار الكتاب العربي، تحقيق محمد الفقي)، وتهذيب=

أحدها: تدبّر القرآن[1].

والثاني: تدبّر الآيات التي يُحْدِثُها الله في الأَنْفُسِ والآفاق التي تبيّن أنّه حقّ.

والثالث: العمل بموجب العِلْم.

قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آياتِنا في الآفاق وفي أنفُسِهم حتّى يَتبيَّنَ لهمْ أنّه الحَقُّ، أَوَ لَم يكفِ بربِّك أنّه على كلِّ شيءٍ شهيد**﴾[2]؟!

والضمير عائد على القرآن[3]. كما قال تعالى:

= المدارج لعبد المنعم العزّي ص ٤٦٩، وتكاليف القلب السليم لمحمد علي ص ١٥٧.

(١) إن قضية تدبّر القرآن قضية مهمة ولذا أولاها العلماء أهمية في التصنيف والتأليف، إما على سبيل الإفراد، أو خلال الكتب والمؤلفات، فانظر في ذلك: الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٣١١ فما بعدها (ط. مؤسسة قرطبة)، التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص ١٢٥ فما بعدها (ط. المكتبة العلمية)، تصويبات في فهم بعض الآيات لصلاح الخالدي ص ٢٦ فما بعدها (ط. دار القلم). ومن الرسائل المفردة: قواعد التدبر الأمثل، لعبد الرحمٰن حبنكة، كيف تتأثر بالقرآن وكيف تحفظه لأبي عبد الرحمن، مفاتيح للتعامل مع القرآن لصلاح الخالدي، وكيف نتدبر القرآن للشيخ فواز زمرلي.

(٢) سورة فُصِّلت، آية ٥٣.

(٣) يقصد الضمير في قوله تعالى: ﴿**أنه الحق**﴾، قال ابن كثير=

﴿قل: أرأيتُم إنْ كانَ منْ عندِ الله ثمّ كفرتم بهِ مَنْ أضلُّ ممن هوَ في شِقاقٍ بعيد * سَنُرِيهِمْ آياتِنا في الآفاق وفي أنفسِهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحق﴾[1] الآية.

وأمّا قول طائفة من المتفلسفة ومَن تبعهم مِن المتكلْمة والمتصوّفة: أنّ الضمير عائد إلى الله؛ وأنّ المراد ذكر طريق من عَرَفه بالإستدلال بالعَقْل، فتفسير الآية بذلك خطأ من وجُوه كثيرة، وهو مخالف لما اتّفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

فبيّن سبحانه أنّه يُرِي الآياتِ المشهودةَ ليبيّن صدق

= رحمه الله في تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٣ في تفسير هذه الآية: «أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزّلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية».

وقال الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٥٢٣: «أي: سنريهم دلالات صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله في الآفاق».

ثم ذكر الخلاف في عودة الضمير في قوله تعالى: **﴿أنه الحق﴾**، فقال:

«الضمير: راجع إلى القرآن.

وقيل: إلى الإسلام الذي جاءهم به رسول الله.

وقيل: إلى ما يريهم الله ويفعل من ذلك.

وقيل: إلى محمد ﷺ أنه الرسول الحقّ من عند الله.

والأوّل أولى».

(١) سورة فصّلت، الآيتان ٥٢ ـ ٥٣.

الآيات المسموعة، مع أنّ شهادته بالآيات المسموعة كافية، لأنّه سبحانه لم يدلّ عباده بالقرآن بمجرد الخبر، كما يظنّه طوائف من أهل الكلام، يظنّون أن دِلالة القرآن إنما هو بطريق الخبر، والخبر موقوف على العِلْم بصدق المُخْبِرِ الذي هو الرَّسول، والعِلْم بصدقه موقوف على إثبات الصّانع؛ والعِلْم بما يجب ويجوز ويمتنع عليه؛ والعلم بجواز بعثة الرُّسل؛ والعلم بالآيات الدَّالّة على صدقهم، ويسمّون هذه الأصول العقليات. لأنّ السمع عندهم موقوف عليها، وهذا غَلط عَظيم، وهو من أعظم ضَلال طوائف من أهل الكَلام والبِدَع.

فإنّ الله سبحانه بَيّن في كتابه كلَّ ما يُحتاج إليه في أصول الدِّين[1]، قرّر فيه: التوحيد، والنبوة،

---

(١) لقد أوضح وأشبع رحمه الله تعالى الكلامَ حول هذا الموضوع في المجموع ٣/ ٢٩٤ فما بعدها، عندما جاءته رسالة فيها بضعة أسئلة أولها: هل يجوز الخوض فيما تكلّم الناس فيه من مسائل في أصول الدِّين لم يُنقل عن سيدنا محمد ﷺ فيها كلام أم لا؟
فمما قاله رحمه الله تعالى مجيباً على ذلك:
«سؤال ورد بحسب ما عهد من الأوضاع المبتدعة الباطلة فإن المسائل التي هي من أصول الدِّين ـ التي تستحقّ أن تسمّى أصول الدّين ـ أعني: الدِّين الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل=

. . . .

= به كتابه؛ لا يجوز أن يُقال: لم ينقل عن النبيّ ﷺ فيها كلام.

بل هذا كلام متناقض في نفسه، إذ كونها من أصول الدِّين يوجب أن تكون من أهمّ أمور الدِّين، وأنها مما يحتاج إليه الدِّين، ثم نفي نقل الكلام فيها عن الرسول ﷺ يوجب أحد أمرين:

إما أنّ الرسول ﷺ أهمل الأمور المهمة التي يحتاج الدِّين إليها فلم يبينها.

أو أنه بيّنها فلم تنقلها الأمة.

وكلا هذين باطل قطعاً، وهو من أعظم مطاعن المنافقين في الدِّين.

وإنما يظن هذا وأمثاله: مَن هو جاهل بحقائق ما جاء به الرسول، أو جاهل بما يعقله الناس بقلوبهم، أو جاهل بهما جميعاً.

فإن جهله بالأوّل: يوجب عدم علمه بما اشتمل عليه ذلك من أصول الدِّين وفروعه.

وجهله بالثاني: يوجب أن يدخل في الحقائق المعقولة ما يسميه هو وأشكاله عقليات، وإنما هي جهليات.

وجهله بالأمرين: أن يُظَنّ من أصول الدين ما ليس منها من المسائل والوسائل الباطلة، وأن يُظنّ عدم بيان الرسول لما ينبغي أن يعتقد في ذلك كما هو الواقع لطوائف من أصناف الناس حذّاقهم، فضلاً عن عامتهم...».

في كلام كثير، حيث أوضح رحمه الله الكلام وفصّله تفصيلاً كاملاً في هذه الرسالة، وقد منّ الله تعالى عليّ بالاعتناء بها وتحقيقها، وهي تحت الطبع الآن يسرّ الله ظهورها، وهي بعنوان: رسالة في أصول الدِّين.

والمعاد، بالبراهين التي لا ينتهي إلى تحقيقها نظر؛ خلاف المتكلّمين من المسلمين والفلاسفة وأتباعهم، واحتجّ فيه بالأمثال الصَّمدية؛ التي هي المقاييس العقلية المفيدة لليقين، وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضع.

وأمّا الآيات المشهودة فإنَّ ما يُشهد، وما يُعلم بالتواتر: من عقوبات مكذّبي الرّسل ومَن عصاهم، ومِنْ نصْر الرُّسل وأتباعهم على الوجه الذي وقَع، وما عُلم مِن إكرام الله تعالى لأهل طاعته وجعل العاقبة لهم، وانتقامه من أهل معصيته وجعل الدائرة عليهم: فيه عبرة تُبيّن أمره ونهيه؛ ووعده ووعيده؛ وغير ذلك، مما يوافق القرآن.

ولهذا قال تعالى: **﴿هو الذي أخرَجَ الذينَ كفرُوا من أهلِ الكتابِ مِنْ دِيارهم لأوّلِ الحَشْرِ، ما ظننتم أنْ يخرُجوا﴾**[1] إلى قوله: **﴿فاعتبرُوا يا أولي الأبصار﴾**[2].

فهذا بيّن الاعتبار في أصول الدّين، وإن كان قد تناول الاعتبار في فروعه، وذلك قوله: **﴿قد كانت لكم آية في فيئتَيْنِ التقتا، فئةٌ تُقاتل في سبيل الله وأخرى**

(١) سورة الحشر، آية رقم ٢.

(٢) سورة الحشر، آية ٢.

كافرةٌ﴾[1] إلى قوله: **﴿إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾**[2].

وأمّا العمل؛ فإنّ العمل بموجب العِلْم يُثبته ويقرِّره، ومخالفته تضعفه، بل قد تذهبه.

قال الله تعالى: **﴿فلما زاغُوا أَزَاغَ الله قُلوبَهم﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿ونُقلِّبُ أفئدَتَهُم وأبصارَهم كما لم يُؤمنوا بِهِ أوّلَ مرةٍ﴾**[4].

وقال تعالى: **﴿ولو أنّهم فَعَلُوا ما يُوعظُونَ بهِ لكانَ خيراً لهم وأَشدَّ تثبيتاً﴾**[5] الآيات.

وقال: **﴿قد جاءكُم مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبينٌ * يَهدِي بهِ اللَّهُ مَنِ اتّبعَ رِضوانَه سُبُلَ السّلام﴾**[6] الآية.

وقال تعالى: **﴿يا أيّها الذينَ آمنوا اتقوا اللَّهَ وآمنوا برسولِهِ يُؤْتِكم كِفْلَيْنِ مِنْ رحمتِهِ ويَجْعَلْ لكم نُوراً**

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٣.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٣.
(٣) سورة الصف، آية ٥.
(٤) سورة الأنعام، آية ١١٠.
(٥) سورة النساء، آية ٦٦.
(٦) سورة المائدة، الآيتان ١٥ ـ ١٦.

تمشُونَ بِهِ ويَغْفِرْ لكم﴾[1] الآية.

وأمّا العلم [بالله] فيراد به في الأصل نوعان:

أحدهما: العِلْم به نفسه؛ وبما هو متّصف به من نُعوت الجلال والإكرام وما دلّت عليه أسماؤه الحسنَى. وهذا العلم إذا رَسَخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة[2]، فإنّه لا بدّ أن يعلم أنّ الله يُثيب على طاعته؛ ويُعاقب على معصيته؛ كما شهد به القرآن والعيان.

وهذا معنىَ قول أبي حيّان التَّيْمي[3] ـ أحد أتباع التابعين ـ: «العلماء ثلاثة:

عالم بالله ليس عالماً بأمر الله.

وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله.

---

(١) سورة الحديد، آية ٢٨.

(٢) يؤيد هذا المعنى قوله تعالى [فاطر: ٢٨]: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾**.

(٣) هو يحيى بن سعيد بن حيّان التيمي الكوفي، ثقة عابد صالح، صاحب سنة، من خيار الناس. توفي سنة (١٤٥) هـ. انظر تهذيب التهذيب ١١/٢١٤ ـ ٢١٥، وتقريب التهذب (٧٥٥٥) ص ٥٩٠.
تنبيه: في المطبوعة: أبي حبان ـ بالموحدة التحتية ـ، وهو خطأ، والصواب ـ بالمثناة التحتية ـ كما أثبته.

وعالـم بالله وبأمر الله.

فالعالـم بالله الذي يخشى الله.

والعالـم بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام.

[وأما العالـم بالله وبأمره فذلك الخائف لله العالـم بسنته وحدوده وفرائضه]»[1].

وقال رجلٌ للشَّعْبِي[2]: «أيّها العالـم! فقال: «إنّما

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٤٨ من طريق عباس الدوري، عن ابن معين، عن الأبّار، عن سفيان، عن إبي حيان به نحوه.. وهذا إسناد حسن، لأجل الأبّار، وهو عمر بن عبد الرحمٰن. أبو حفص الأبّار، الكوفي نزيل بغداد، صدوق وكان يحفظ وقد عمي.
انظر تقريب التهذيب (٤٩٣٧) ص ٤١٥.
وما بين المعقوفين زيادة منه، يعني: جامع بيان العلم وفضله.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠.
لابن أبي حاتم عن أبي حيّان، عن رجل به.
وهكذا ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٥٦١.
من طريق ابن أبي حاتم عن أبي حيان، عن رجل.

(٢) هو عامر بن شراحيل الشَّعْبي، أبو عمرو الهَمْداني، ولد في إمرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومات رحمه الله سنة (١٠٤) هـ. قال عنه الذهبي: «الإمام علاّمة العصر». وقال الحافظ ابن حجر: «ثقة مشهور فقيه فاضل». =

العالم من يخشى الله»[1].

وقال عبد الله بن مسعود: «كفَى بخشية الله عِلْماً، وكفى بالإغترار بالله جَهْلاً»[2].

والنوع الثاني: يُراد بالعِلْم بالله العِلم بالأحكام

= انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤ ـ ٣١٩. وتذكرة الحفاظ ١/ ٧٤، والبداية والنهاية ٩/ ٢٣٠، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧ ـ ٢٣٤، والحلية ٤/ ٣١٠ ـ ٣٣٨، وتهذيب التهذيب ٥/ ٦٥. وتقريب التهذيب (٣٠٩٢) ص٢٨٧.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٣١١ بلفظ: «العالم من يخاف الله»، وإسناده صحيح. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٨٦، والشوكاني في فتح القدير ٤/ ٣٤٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (٨٦٢) ص ٢٣١ (ط. دار الكتاب العربي)، وابن المبارك في الزهد ص ١٥ رقم (٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٢٧) ٩/ ٢١١ ـ ٢١٢، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٤٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٤٧٠ لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد.

من طرق عن المسعودي: عبد الرحمن بن عبد الله، وهو صدوق اختلط قبل موته. التقريب ١/ ٤٨٧، والميزان ٢/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥.

ولكن ورد الحديث من طرق منها من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين ـ عند الطبراني ـ وهو ممن سمع منه قبل الاختلاط. انظر: الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط ص ٧٥ ـ ٧٦، والتبصرة ٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣، وفتح المغيث ٣/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦. فالإسناد حسن.

الشرعية، كما في الصحيح عن النبيّ ﷺ: أنه ترخّص في شيء فبلَغه أنّ أقواماً تنزّهوا عنه، فقال: «ما بال أقوام يتنزّهون عن أشياء أترخّص فيها؟! واللَّهِ إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له»[1].

وفي رواية: «والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده».

فجعل العِلْم به هو العِلْم بحدوده.

وقريب من ذلك قول بعض التابعين في صفة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - حيث قال: إن كان الله في صدري لَعظيماً، وإن كنتَ بذات الله لعليماً. أراد بذلك أحكام الله.

فإنّ لفظ «الذات» في لُغتهم لم يكن كلفظ «الذات»

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب (٧٢) مَن لم يواجه الناس بالعتاب، حديث رقم (٦١٠١) ١٠/ ٥١٣.
وفي كتاب الاعتصام، باب (٥) ما يُكره من التعمّق والتنازع والغلوّ في الدِّين والبدع، حديث رقم (٧٣٠١) ١٣/ ٢٧٦.
ومسلم في كتاب الفضائل، باب (٣٥) علمه ﷺ بالله تعالى وشدّة خشيته، حديث رقم (٢٣٥٦) ٤/ ١٨٢٩.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب (٨٧). الحديث الثاني. كما في تحفة الأشراف ١٢/ ٣٢٠.

في اصطلاح المتأخّرين، بل يُراد به ما يُضاف إلى الله، كما قال خُبَيْب[1] ـ رضي الله عنه ـ:

وذلك في ذاتِ الإله وإنّ يَشَأْ
يُبارِكْ على أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

ومنه الحديث: «لم يكذب إبراهيم إلاّ ثلاثَ

---

(١) هو الصحابي الجليل: خبيب بن عديّ بن مالك الأنصاري الأوسي، شهد بدراً، واستشهد في عهد النبيّ ﷺ. وقد أخرج البخاري في المغازي باب (٢٨) غزوة الرجيع..، حديث رقم (٤٠٨٦)٧/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ وغيره قصة استشهاده رحمه الله تعالى، وذكر أنه قال:
ما أَنْ أبالي حين أُقتل مسلماً على أي شقٍّ كان للّه مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصال شِلْوٍ مُمَزّع
وانظر: فتح الباري ٧/ ٣٨٠ ـ ٣٨٥، والإصابة ١/ ٤١٨ ـ ٤١٩.

(٢) قوله: أوصال شِلو مُمزّع.
«الأوصال: جمع وصل، وهو العضو.
والشِلو ـ بكسر المعجمة ـ: الجسد، وقد يطلق على العضو، ولكن المراد به هنا الجسد.
والممزّع ـ بالزاي ثم المهملة ـ: المقطّع.
ومعنى الكلام: أعضاء جسد يقطع».
ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٣٨٤.

كذبات[1] كلّها في ذات الله»[2].

---

(1) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٣٩١: «قال أبو البقاء: الجيّد أن يُقال بفتح الذال في الجمع، لأنه جمع كذْبة ـ بسكون الذال ـ».

(2) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب (٨). قول الله تعالى: **﴿واتخذ اللَّهُ إبراهيمَ خليلاً﴾**. وقوله **﴿إنّ إبراهيم كان أمة قانتاً لله﴾**، حديث رقم (٣٣٥٨) ٦/ ٣٨٨.

ومسلم في كتاب الفضائل، باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، حديث رقم (٢٣٧١) ٤/ ١٨٤٠ ـ ١٨٤١.

وأبو داود في كتاب الطلاق، باب (١٦) في الرجل يقول لامرأته: يا أختي، حديث رقم (٢٢١٢) ٢/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠.

والترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الأنبياء، باب (٣)، حديث رقم (٣١٦٦) ٥/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

والنسائي في سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ١٠/ ٣٥٧.

وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٣، والبيهقي في سننه الكبرى ٧/ ٣٦٦، وابن حبان في صحيحه (٥٧٣٧) ١٣/ ٤٥ ـ ٤٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

* تنبيه: ذكر المصنف رحمه الله أن لفظ الحديث: كلّها في ذات الله. وليس كذلك بل هي عند كلّ مَن خرّج الحديث: ثنتين منها في ذات الله.

لكن ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٣٩٢ أنه قد وقع في رواية هشام بن حسان ـ وهي رواية النسائي ـ: إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كلّ ذلك في ذات الله.

وقال: في حديث ابن عباس عند أحمد: واللَّهِ إنْ جادل بهنّ إلاّ عن دين الله. =

ومنه قوله تعالى: ﴿فاتّقوا اللَّهَ وأصلِحُوا ذاتَ بينِكم﴾[1].

﴿وهُوَ عليمٌ بذاتِ الصُّدور﴾[2] ونحو ذلك.

فإنّ «ذات» تأنيث «ذو»، وهو يستعمل مضافاً يتوصّل به إلى الوَصْف بالأجناس، فإذا كان الموصوف

= * تنبيه ثان: قال الحافظ في الفتح ٦/ ٣٩١: «وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة، فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذباً، لكنه إذا حقّق لم يكن كذباً لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين، فليس بكذب محض».

ثم ذكر ٦/ ٣٩٢ عن ابن عقيل قوله: «دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع.

وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه الصلاة والسلام - يعني إطلاق الكذب إلاّ في حال شدّة الخوف لعلوّ مقامه، وإلاّ فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمّل أخفّ الضررَيْن دفعاً لأعظمها.

وأمّا تسميته إياها: كذبات، فلا يريد أنها تذمّ، فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخلاً، لكنه قد يحسن في مواضع، وهذا منها».

(١) سورة الأنفال، آية ١.

(٢) سورة الحديد، آية ٦.

مذكّراً قيل: ذو كذا؛ وإن كان مؤنّثاً قيل: ذات كذا، كما يُقال: ذات سوار.

فإن قيل: أُصِيب فلانٌ في ذاتِ الله. فالمعنى في جهته ووجهته؛ أي: فيما أمرَ به وأَحبّه؛ ولأجله.

ثم إنّ الصِّفات لمّا كانت مضافة إلى النّفس فيقال في النفس أيضاً: إنّها ذات علم وقدرة وكلام ونحو ذلك، حذَفوا الإضافة وعرّفوها، فقالُوا: الذّات الموصوفة.

أي: النفس المصوفة.

فإذا قال هؤلاء المؤكِّدون: «الذات»: فإنّما يعنون به النفس الحقيقية؛ التي لها وَصْف ولها صفات.

والصِّفة والوَصْف:

تارة يُراد به الكلام الذي يُوصف به الموصُوف؛ كقول الصحابيّ في: ﴿قل هو اللَّهُ أحدٌ﴾[1] أُحِبّها لأنّها صِفة الرّحمن[2].

---

(١) سورة الإخلاص، آية ١.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب (١) ما جاء في دعاء النبيّ ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم (٧٣٧٥) ١٣/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

والنسائي في كتاب الافتتاح، باب (٦٩) الفضل في قراءته ﴿قل هو الله أحد﴾، ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١.

وتارة يراد به المعاني التي دلّ عليها الكلام: كالعلم والقدرة.

والجهمية[1] ....

(١) الجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل وغير ذلك من الأباطيل، وقد أخذ ذلك عن الجعد بن درهم، والذي أخذ ذلك بالتسلسل عن يهودي خبيث.
وقد قُتل جعد بن درهم قتله خالد القَسْري سنة ١٢٤ بواسط، وخلفه جهم بخراسان فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكّاً في ربّه، وقد قُتل جهم بخراسان، قتله سَلْم بن أَحْوَز المازني، في آخر مُلْك بني أمية، ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس، ثم لم يلبثوا أن قووا وكثروا ولا سيما في عصر المأمون.
ومن افتراءات جهم وأتباعه: أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلاّ لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، وأن علم الله حادث، إلى غير ذلك من الأباطيل التي لا يخفى ما فيها من الضلال والإلحاد.
وكان جهم مع ضلالاته التي ذكرناها يحمل السلاح ويقاتل السلطان.
ولقد أحسن القائل:
عجبت لشيطان دعا الناس جهرة إلى النار واشتق اسمه من جهنّم
انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤، والملل=

والمعتزلة[1] وغيرهم تنكر هذه، وتقول: إنّما الصِّفات مجرّد العبارة التي يُعَبَّر بها عن الموصوف.

= والنحل للشهرستاني ١/٨٦ ـ ٨٨، والفَرق بين الفِرَق للبغدادي ص ١٢٨.

(١) المعتزلة فرقة ظهرت في أوائل القرن الثاني، لمّا اعتزل عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الجماعة بعد موت الحسن البصري.

وقد أقام هؤلاء مذهبهم على خمسة أصول هي: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولبّسوا في هذه الأصول الحق بالباطل ـ وهذا شأن كل المبتدعة ـ.

وهم مشبهة في الأفعال، حيث قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه.

وقالوا: يجب أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد.

وعندهم أن التوحيد من الأصول العقلية التي لا يُعلم صحة السمع إلا بعدها، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية فإنما يذكرونها للإعتضاد بها لا للإعتماد عليها.

وفي المعتزلة زنادقة كُثر، وفيهم من ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

انظر الملل والنحل ١/٤٣ ـ ٤٦، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢١ ـ ٥٢٢. والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٢٧، وذكر مذاهب الفرق لليافعي ص ٤٩ فما بعدها.

والكُلاّبية[1] ومن اتّبعهم من الصِّفاتية[2] قد يُفَرِّقون بين الصِّفة والوَصْف، فيجعلون الوَصْف هو القول؛ والصفة المعنى القائم بالموصوف.

وأما جماهير الناس فيعلمون أنّ كلّ واحد من لفظ الصِّفة والوصف مصدر في الأصل؛ كالوَعْدِ والعِدَة؛ والوَزْنِ والزِّنة؛ وأنّه يُراد به تارة هذا؛ وتارة هذا.

ولـمّا كان أولئك الجهمية ينفون أنْ يكون للّٰهِ

---

(١) الكُلاّبية، نسبة إلى عبد الله بن كُلاّب، وهذه الفرقة تعتبر من فرق المرجئة القائلة: إنه لا يدخل النار إلا كافر فحسب، ولا يدخلها مؤمن ألبتة، وإن عظمت ذنوبه. وبنوا ذلك على قاعدتهم وأصلهم من أن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب. ولم يقولوا كما قال أهل السنة والجماعة من أنه: الاعتقاد بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان.
والكلابية تنفي أن الله تعالى كلّم موسى عليه الصلاة والسلام ولكن يقولون: هو إلهام ألهمه الله تعالى. وهذا من افتراءاتهم المبنية على نفي الصفات وأن الله لا يتكلم وأن القرآن مخلوق.
انظر: ذكر مذاهب الفرق لليافعي ص ١٣٢ ـ ١٣٨.

(٢) هم الذين لا يفرّقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً، ولا يؤوّلون ذلك، ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات، والسلف يثبتونها، سمّي السلف صفاتية، والمعتزلة معطلة.
انظر الملل والنحل ١/ ٧٩ (ط. دار الكتب العلمية).

وصفٌ قائم به[1] علم أو قدرة؛ أو إرادةٍ أو كلام - وقد أثبتها المسلمون - صارُوا يقولون: هؤلاء أثبتوا صفات زائدة على الذّات.

وقد صار طائفة من مناظريهم الصِّفاتية يُوافقونهم على هذا الإطلاق، ويقولون: الصِّفات زائدة على الذّات التي وَصَفُوا لها صِفات ووَصْف، فيُشْعِرُون النّاس أنّ هناك ذاتاً متميزة عن الصِّفات، وأنّ لها صفات متميّزة عن الّذات. ويُشَنّع نفاة الصفات بشناعات ليس هذا موضعها، وقد بيّنا فسادها في غير هذا الموضع[2].

---

(١) في المطبوعة: أن يكون الله وصف قائم به. وهو خطأ، لا يستقيم لا من جهة المعنى، ولا من جهة النحو.

(٢) قال الإمام ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوي ص ١٢٥ - ١٢٦: «مسألة «الصفة» هل هي زائدة على الذات أم لا؟ لفظها مجمل، وكذلك لفظ «الغير» فيه إجمال:

فقد يراد به ما ليس هو إياه.

وقد يراد به ما جاز مفارقته له.

ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه هو هو. إذا كان لفظ «الغير» فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل:

فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح. =

والتحقيق أنّ الذّات الموصُوفة لا تنفكّ عن الصِّفات أصلاً، ولا يمكن وجود ذات خالية عن الصّفات.

فدعوىَ المدّعي وجود حيّ عليم قدير بصير بلا حياة ولا علم ولا قدرة؛ كدعوَى قدرة وعلم وحياة لا يكون الموصوف بها حياً عليماً قديراً.

بل دعوَى شيء موجود قائم بنفسه قديم أو مُحْدَث عريّ عن جميع الصّفات ممتنع في صَريح العقل.

ولكنّ الجهمية المعتزلة وغيرهم؛ لمّ أثبتوا ذاتاً مجرّدة عن الصِّفات صار مناظرُهم يقول: أنا أُثْبتُ الصّفات زائدة على ما أثبتموه منَ الذّات؛ وأي: لا أقتصر على مجرد إثبات ذاتٍ بلا صفات. ولم يَعْنِ

= وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة، فهذا حق.

ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة، كلاً وَحْده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة فإن هذا محال.

ولو لم يكن إلاّ صفة الوجود، فإنها لا تنفكّ عن الموجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتاً ووجوداً، يتصوّر هذا وحده وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج».

بذلك أنه في الخارج ذاتٌ ثابتةٌ بنفسها، ولا مع ذلك صفات هي زائدة على هذه الذات متميزة عن الذات. ولهذا كان من النّاس من يقول: الصِّفات غير الذّات. كما يقوله المعتزلة والكَرَّامية[1] ثمّ المعتزلة تنفيها، والكرّامية تُثبتها.

ومنهم من يقول: الصِّفة لا هي الموصوف ولا هي غيره. كما يقوله طوائف من الصِّفاتية، كأبي الحسن

---

(١) الكرامية: نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن كرّام السجستاني، كان من عباد المرجئة، فلذا اغتر به عوامّ الناس فنفث فيهم بدعه، منها: القول بأن الإيمان هو القول باللسان دون التصديق بالقلب، فمن نطق بالشهادة بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه، فهو مؤمن عندهم.

ومنها: أنه كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه تشدّد في ذلك إلى أن وصل إلى التجسيم والتشبيه.

ومنها: إن العقل عندهم يحسّن ويُقبِّح قبل الشرع، وتجب معرفة الله تعالى بالعقل ـ كما قالت المعتزلة ـ.

وقالوا بجواز عقد البيعة لإمامين في قطرين، وغرضهم اثبات إمامة معاوية.

ويذهبون إلى اتهام عليّ رضي الله عنه، وغير ذلك من الضلالات الكثيرة.

انظر الملل والنحل ١/ ٩٩ ـ ١٠٥، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٢٢٣، والفرق بين الفِرَق ص ٢١٥ ـ ٢٢٥، والبرهان ص ١٨، وذكر مذاهب الفرق ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

الأشعري[1] وغيره.

ومنهم من يقول كما قالت الأئمة: لا نقول الصِّفة هي الموصوف؛ ولا نقول: هي غيره؛ لأنّا لا نقول: لا هي هو؛ ولا هي غيره.

فإنّ لفظ الغير فيه إجمال.

قد يُراد به المُبَايِن للشيء.

أو ما قارن أحدهما الآخر؛ وما قاربه بوجودٍ أو زمان أو مكان.

---

(١) هو إمام المتكلّمين: أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري اليمانيّ البصري. ولد سنة (٢٦٠) وقيل (٢٧٠) هـ. وتوفي سنة (٣٢٤) هـ.
قال عنه الذهبي في السير: «وكان عجباً في الذكاء، وقوة الفهم. وقال أيضاً: ولأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحّر في العلم وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم». وكان معتزلياً وبرع فيه، ثم كرهه وتبرّأ منه، ثم أنشأ مذهبه الذي عُرف بالنسبة إليه، ثم عاد إلى مذهب أهل السنة والجماعة وألف كتباً سطر فيها توبته، كالإبانة عن أصول الديانة، ورسالة إلى أهل الثغر، وغيرها.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥ ـ ٩٠، تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧، الملل والنحل ١/ ٩٤ ـ ١٠٣، وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦، العبر ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣، البداية والنهاية ١١/ ١٨٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٩، وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥.

ويُراد بالغيران: ما جاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر[1].

وعلى الأول: فليست الصِّفة غير الموصوف، ولا بعض الجملة غيرها.

وعلى الثاني: فالصّفة غير الموصوف، وبعض الجملة غيرها.

فامتنع السَّلف والأئمة من إطلاق لفظ «الغَيْر» على الصِّفة نفياً أو إثباتاً؛ لما في ذلك من الإجمال والتلبيس؛ حيث صار الجهميّ يقول: القرآن هو الله أو غير الله. فتارة يُعارِضونه بعِلْمه فيقولون: علم الله هو الله أو غيره؛ إن كان ممن يثبت العلم؛ أو لا يمكنه نفيه.

وتارة يحلّون الشبهة ويثبتون خطأ الإطلاقين: النفي والإثبات، لما فيه من التلبيس، بل يستفصل السائل فيقال له:

إنْ أردتَ بـ «الغير» ما يُباين الموصوف فالصِّفة لا تباينه؛ فليست غيره.

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١٢٥ ـ ١٢٦، وقد تقدم ذِكْر بعض كلامه قريباً.

وإنْ أردتَ بـ «الغير» ما يمكن فهم الموصوف على سبيل الإجمال؛ وإنْ لم يكن هو، فهو: «غير» بهذا الإعتبار.

والله تعالى أعلم، وصلّى الله على محمد.

فهرست الموضوعات